رســـالة الأزهر*

للأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
الشيخ محمد مصطفى المراغى

... قد يسأل بعض الناس : ما فائدة الأزهر ، أو ما هى رسالة الأزهر كما يقال اليوم ؟ فأقول لهؤلاء : رسالة الأزهر هى حمل رسالة الاسلام . ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الأزهر

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر ورفع مستوى الانسانية والسمو بالنفوس الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل بين العبد وربه . ولم يجعل لأحد فضلاً على أحد إلا بالتقوى ، وقدس العلم والعلماء ، وقرر فى غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره فى ذلك هو منتهى ما سمت إليه الحكمة ، ووصل اليه العقل . وفرض عبادات كلها ترجع الى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الأخلاق ، وقرر التمتع بالطيبات ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدوداً تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ووضع أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين : قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانسانى

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامى ، ورسالة الأزهر هى بيان الدين الاسلامى ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيباً عظيماً من السعادة والخير للجمعية الانسانية

فى القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما فى الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق . فالدين الاسلامى يحث على تعلم جميع المعارف الحق . وليس فى المعارف الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها

نعم قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء فى شرح القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، ولكنا لا نهتم لهذا . فليسر العلم فى طريقه ، ولنصحح معارف الماضين ، لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهانى المستقر

ولست أقصد بحديثى هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا : ولكنى أعنى أن هناك علوماً ومعارف لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . فهذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الدينى أو يتعلم منها القدر الضرورى لما يوجه اليه

قد تغيرت فى العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضرورياً لنشرها وترغيب الناس فيها . ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة ، فقارنوا بينها تدركوا ما فى طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس اليها ، وما فى طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس منها . وقد توجد فى الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفاً وأكثر قيمة وأمتن مادة ، ومع ذلك فهى فى كساد

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة فى العلم ، وتنفى عنه الملل والسأم

حدثت هذه الطرق فى إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت فى تأليف الكتب أيضاً . وهذا المثل ينطبق علينا . ففى جميع الكتب التى تدرس فى الأزهر ، وفى جميع العلوم التى تدرس فى الأزهر ، اعلاق نفيسة لا تحتاج إلا الى تغيير طريقة العرض فى الدرس والتأليف ، وفى الفقه الاسلامى نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفى الفقه الاسلامى آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وهى تحقق العدالة فى أكمل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضاً حديثاً جذاباً مشوقاً

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : هى تطهير الدين الاسلامى من البدع ، وما أضيف اليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . فهناك آراء منثورة فى كتب المذاهب وفى غير كتب المذاهب يحسن سترها صناً بكرامة الفقه والدين

* من خطبة قيمة ألقاها فى الأزهر على العلماء والطلاب

ومن الواجب أن يعترف بأن المذاهب الاسلامية جملة تغنى عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت من قبل متى تخير العلماء منها

وأذكر قصة طريفة تجدونها فى كتاب الولاة والقضاة للكندى :

« كان فى مصر قاض شافعي المذهب فى عصر الامام الطحاوى . وكان يتخير لأحكامه ما يرى انه محقق للعدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب . وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه وخلقه . سأل ذلك القاضى الامام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقعات . فقال الطحاوى : أتسألني عن رأيي أو عن رأى أبى حنيفة ؟ قال القاضى : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى : ظننتك تحسبنى مقلداً . فقال القاضى : ما يقلد الا عصبي أو غبي ؟ »

فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ولكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه

اصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى لاصلاح الامم الاسلامية على مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه اذا استطاع الى ذلك سبيلا

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم الى الأخلاص فى النهوض بالازهر ، فان الاخلاص فى ذلك اخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين وللدين الحق الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر

ونصيحة أقدمها إلى العلماء وطلاب العلم فى الأزهر راجياً تدبرها ، وهى احترام حرية الرأى ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر

ولا أطالب بشيء يعد بدعة . ولا أحدث فى الدين حدثاً بهذه النصيحة . فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم . وترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول وفى جميع كتب الامام الغزالى

وحاصلها — على ما أذكر — أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها كالصلاة والزكاة وحرمة الزنا وشرب الخمر وقتل النفس والربا

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم فى إنكاره مطلقاً . على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وأجمع عليه الأئمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثّم بعضاً

وعلى الجملة فما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئاً منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق قاطعة فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرة الناس ، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة . والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل الله أن يهبنا رشداً ، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلال الله ، ويملأها عزاً وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الاسلام للعالم ، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات ، لغات الأمم الاسلامية وغير الأمم الاسلامية ، والله لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الأزهر القدوة ، وليرسل إلى الناس رسلاً يفقهونهم فى دينهم بلسانهم : وسأعنى بهذه المسألة كما أعني بتثقيف إخواننا الذين أسماهم القانون « أغراباً » فان لهم من الحقوق والحرية فى هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد ، وأرجو أن يفكروا طويلاً فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرتين)

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر « ومن الرسالة »

والثمن ١٢ قرشاً